Amsterdam، 1968، p 339. وينظر إلى:

49.ناجي الأصيل، "واسط الحجاج"، مجلة سومر، العدد1، المجلد2، 1945، ص11.

50-The Arab Conquests in Central Asia، London، 1923، p29.

أحمد بن جابر البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق، رضوان محمد رضوان، مصر، مطبعة السعادة، 1959، ص424

51.المصدر نفسه، ص424، الطبري، المصدر السابق: 2/1199.

52.ابن الفقيه الهمذاني، مختصر كتاب البلدان، نشر، دي غوية، ليدن، 1885، ص162.

53.الطبري، المصدر السابق: 2/875، 1006 فما بعدها.

54.المصدر نفسه، 2/591.

55.أبو العباس أحمد بن خلكان ابن خلكان، وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، تحقيق، إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، 1968: 5/352، العبود، المرجع السابق، ص43.

56.البلاذري، فتوح البلدان، ص425.

57.ينظر: صلاح مهدي عماش، قتيبة بن مسلم الباهلي، بغداد، 1978، ص12.

58.المرجع نفسه، ص175-178.

59.المرجع نفسه، 179-181، وينظر أيضا: عبد الواحد ذنون طه، قادة العصر الأموي، منشور في كتاب: الجيش والسلاح، بغداد، دار الحرية للطباعة، 1988: 4/330-331.

المؤرخ أبو بكر الرازي جغرافيا.

د.غازي جاسم الشمري

مما لا شك فيه أنه ليس هناك وطن محدد للعلم، وان تراث الإنسانية الفكري، تراث مشترك، ساهمت فيه شعوب مختلفة بمقادير معنية، كما أن العلماء العرب، كغيرهم من العلماء استفادوا من الذين سبقوهم، وخاصة الإغريق والرومان والهنود والفرس والصينيين، بالإضافة إلى معرفتهم بالتراث الفكري الذي خلفه السومريون والبابليون والكلدان والصائبة وغيرهم، فترجموا عن لغات الآخرين، وأضافوا أمور جديدة، وابتكروا قضايا عديدة، وأفادوا من لحق بهم بإنجازاتهم المتعددة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولقد أسهمت الكتابات العربية الجغرافية في تطوير هذا العلم من خلال المعلومات الجديدة عن العوالم المختلفة، فقد عرفوا أوربا بأجمعها باستثناء أقصى شمالها، وكذلك النصف الجنوبي من آسيا، وإفريقيا الشمالية إلى خط عرض **10** درجات شمالا، وساحل إفريقيا الشرقي إلى رأس كرينتس قرب مدار الجدي. ولأول مرة حظي عمق القارة الإفريقية بوصف مفصل في المؤلفات العربية، واستمرت معلومات العرب المسلمين تمثل القول الفصل في هذا الصدد لحين ظهور المستكشفين الجغرافيين الأوربيين في القرن التاسع عشر. واثبت البحث العلمي المعاصر أهمية المعلومات التي جمعوها حتى عن بلاد نائية مثل أرخبيل الملايو واسكندينافيه وجنوب شرقي أوربا

وخلف الجغرافيون العرب وصفا مفصلا لجميع البلدان من إسبانيا غربا إلى تركستان ومصب نهر السند شرقا، مع التعرض بدقة لجميع المراكز المأهولة بالسكان، وللمناطق المزروعة والصحارى، وبينوا مدى انتشار النباتات المزروعة وأماكن وجود المعادن، ولم يتوقف اهتمامهم على الجغرافية الطبيعية أو الظروف المناخية فحسب، بل اهتموا كذلك بتسجيل وقائع الحياة

---

* أستاذ محاضر بقسم التاريخ–جامعة وهران السانية.

الاجتماعية، الاقتصادية والثقافية والدينية. ولم تقتصر معرفتهم على بلاد الإسلام وحدها، بل تجاوزت بصورة ملحوظة حدود العالم كما عرفه اليونان. ومعرفة الأخيرين بالبلاد الواقعة إلى الشرق من بحر قزوين كانت ناقصة، كما لم تكن لديهم أية فكرة عن الساحل الشرقي لآسيا إلى الشمال من الهند الصينية [1]

إن ما يؤخذ على الجغرافيين العرب هو تأثرهم بالنظريات العلمية السابقة، وخاصة نظرية تقسيم المعمورة إلى سبعة أقاليم، وهي أحزمة عريضة مرتبة من الجنوب إلى الشمال في موازاة خط الاستواء، ومبتدئه منه على وجه التقريب.هذا التقسيم وصفه اليونان على أساس الطول النسبي للنهار والليل، أو ميل الشمس على خط الاستواء، وكانت عروض الأقاليم تتفاوت بحيث يختلف أطول أيام السنة بمقدار نصف ساعة من إقليم إلى آخر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعلى الرغم من أن تجاربهم العلمية كثيرا ما أدت إلى استكمال تلك النظريات وتعديلها، بل وحتى إلى صرف النظر عنها وتجاوزها في أحيان كثيرة، إلا أن نظرية الأقاليم اكتسبت انتشارا واسعا سواء في الشرق العربي أو أوربا الوسيطة.

وقد تجلى التأثير البطليموسي* على الاندلسيين خصوصا في تحديد موقع شبه جزيرتهم بالنسبة لبقية البلاد الاسلامية، ولايذهبون إلى أبعد ما ذلك، وهم يجمعون على أن الاندلس تقع في الاقليم الرابع والخامس والسادس. جاء في الفرحة " وزعمت عجم رومة أن حد الاندلس من بلد أربونة، ومعظمها في الاقليم الخامس وبعضه في الرابع"[2].

وإلى ذلك ذهب المسعودي "وقد ذكر بطليموس في الكتاب المعروف بجغرافيا، صفة الأرض ومدنها وجبالها وما فيها من البحار والجزائر...وسماها مدينة مدينة في إقليم إقليم ...والإقليم الرابع مصر وإفريقية والبربر والأندلس وما بينهما..."[3]

إلا أن الدارس لمؤلفات الجغرافيين العرب، والأندلسسين خاصة يشعر بوجود منهج مستقل في الكتابة الجغرافية خاص بهم، بعيدا عن التأثر بالنظريات الهندية أو الفارسية أو اليونانية.

وإن أخذ الجغرافيون الأندلسيون عن الإغريق واللاتين، ومن أخذ عنهم من الأسبان في العهد القوطي، وصفهم العام لشبه الجزيرة الأندلسية، وتحديد المواقع و تقدير المسافات، إلا أنهم لم يتقيدوا به تمام التقييد، ولم يكونوا مقلدين جامدين لهم في إسباغ خصائص فلكية على أقاليم معينة، أو أنها ذات صلة ببروج الفلك، بل حاولوا عقد مقارنة بين ما تمتاز به الأندلس وأهلها، وما عند الأقوام الأخرى من عرب وغيرهم. ذكر ابن غالب الأندلسي "والأندلس شامية في طيب أرضها ومياهها، يمانية في اعتدالها واستوائها، أهوازية في عظيم جبايتها، عدنية في منافع سواحلها، صينية في جواهر معادنها، هندية في عطرها وطيبها، وأهلها عرب في العزة والأنفة وعلو الهمة وفصاحة الألسن وطيب النفوس واباية الضيم وقلة احتمال الذل، هنديون في فرط عنايتهم بالعلوم وحبهم فيها، هم أشد الناس بحثا عليها، و أصحهم ضبطا وتقييدا ورواية لها وخاصة لكتاب الله وسنة نبيهم محمد صلى الله عليه و سلم، بغداديون في نباهتهم وذكائهم وحسن نظرهم وجودة قرائحهم ولطافة أذهانهم وحدة أفكارهم، ونفوذ خواطرهم ورقة أخلاقهم، وظرفهم ونظافتهم، يونانيون في استنباطهم للمياه ومعاناتهم لضروب الغراسات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

واختيارهم لأجناس الفواكه وتدبيرهم لتركيب الشجر، صينيون في إتقان الصنائع العملية وإحكام المهن التصويرية، فهم أصبر الناس على مطاولة التعب في تجويد الأعمال ومقاساة النصب في تحسين الصنائع، تركيون في معاناة الحروب ومعالجة آلاتها، فهم أحذق الناس بالفروسية وأبصرهم بالطعن والضرب وذلك بحسب ما يقتضيه إقليمهم، وأعطته لهم نسبتهم من ذلك ما ذكره بطليموس وغيره "[4]

وفي معرض بيان خصائص أهل الأندلس وأثر الإقليم في سلوك وملكات سكانه، أشار ابن حزم في رسالته المعروفة في "فضل الأندلس" إلى أن " قرطبة مسقط رؤوسنا ومعق تمائمنا مع سر من رأى (سامراء – العراق) في إقليم واحد، فلنا من الفهم و الذكاء ما اقتضاه إقليمنا، وإن كانت الأنوار لا تأتينا إلا مغربة عن مطالعها على الجزء المعمور، وذلك عند المحسنين للأحكام التي تدل عليها الكواكب ناقص من قوى دلائلها، فلها من ذلك على كل حال، حظ يفوق حظ أكثر البلاد، بارتفاع أحد النيرين بها تسعين درجة، وذلك من أدلة التمكن في علوم القراءات والروايات، وحفظ كثير من الفقه، والبصر في النحو والشعر واللغة والخبر والطب والحساب والنجوم بمكان رحب الفناء، واسع العطن، متنائي الأقطار، فسيح المجال ". [5]

لقد فقدت الكتابات اليونانية الرومانية عن بلاد الأندلس أهميتها مع مرور الزمن، لأنها لم تكن دقيقة علميا، وذلك لأنهم (أي الأجانب) كانوا يكتبون عن بلاد أجنبية لا تربطهم بها رابطة إلا المصالح الإقتصادية والعسكرية، حيث كان هدفهم احتلالها و استغلالها، ثم أن أغلب المعلومات كانت مبنية على السماع، لهذا فقد حفلت بالأخطاء و التصورات البعيدة عن الواقع.

أما الجغرافيون الأندلسيون فقد بنوا معلوماتهم على المشاهدة العيانية والدراسة الميدانية، لذلك جاءت مادتها علمية صادقة وغزيرة حتى أصبحت مرجعا للباحثين والدارسين والمهتمين بالنواحي الجغرافية.

إن كتابات الرازي وشيوخه وطلابه كانت شاملة، عامة لجميع فروع الجغرافية، إنهم يكتبون عن وطنهم الذي التصقوا به، لذلك كانت صادقة في وصفها وتعابيرها، دقيقة في معلوماتها، بعيدة عن الأغراض السياسية. تناول وصف الجغرافيون الأندلسيون الجبال والسهول والأنهار،وسائل الري وطرق الزراعة، كما تناولوا الأنشطة الإقتصادية الأخرى.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لابد لنا قبل الحديث عن الرازي أن نعرف ولو بصورة مختصرة بأستاذه ومعلمه الأول قاسم بن أصبغ البياني [6]. ولد هذا العالم الجليل في بلدة بيانة التي ينسب إليها وذلك في 20 ذي الحجة سنة 244هـ/2تشرين الثاني (نوفمبر) 859م، وقد امتد به العمر حتى جاوز السادسة والتسعين سنة، وتوفي في 15 جمادى الأولى عام 340هـ/951م، في فترة عز وازدهار الأندلس، حيث عاصر خمسة من أمرائها، كان آخرهم عبد الرحمن الناصر.

ويعتبر قاسم بن أصبغ البياني علما من أعلام العلم والمعرفة، وهو من الرحالة الأوائل الذين تجولوا في المشرق و المغرب، فزار مع محمد بن عبد الملك بن أيمن و محمد بن زكريا بن عبد الأعلى سنة 274هـ مصر والحجاز وبلاد الشام والعراق، وأخذ عن شيوخها وأدبائها وعلمائها الشيء الكثير، منهم ابراهيم بن عبد الله القصار، وفي الكوفة عن إبراهيم بن أبي العنبسي القاضي، وسمع ببغداد من القاضي اسماعيل بن اسحق وأحمد بن زهير بن حرب، وعبد الله بن الامام أحمد بن حنبل والحارث بن أبي اسامة وكتب عن ابن ابي خيثمة تاريخه وسمع من ابن قتيبة كثيرا من كتبه، وسمع من المبرد وثعلب وابن الجهم وغيرهم، وسمع بالقيروان من أحمد بن يزيد المعلم وبكر بن حماد التاهرتي الشاعر. وفي مكة المكرمة من محمد بن إسماعيل الصائغ، وغيرهم من أهل العلم و المعرفة. و لما عاد إلى الأندلس، حمل معه كنوزا من العلم و الأدب [7]، و لطول عمره سمع منه الشيوخ والكهول والأحداث، ولحق الصغار الكبار في الأخذ عنه، وكان الرازي واحدا منهم.

وكانت مساهمته الكبيرة في علم الجغرافية، هو ترجمته لتاريخ هروشيش، وكانت نقطة البدء بالنسبة للتأليف الجغرافي، فكتاب هروشيش يبدأ بمقدمة جغرافية وافية، حيث يوجز فيها وصف المعمورة على أيامه، وقد تناولت هذه الترجمة والدراسة الشيء الكثير عن جغرافية شبه الجزيرة الأندلسية حتى أصبحت هذه الدراسة أساسا من أسس الوصف الجغرافي لشبه الجزيرة الأندلسية، وهذا ما سوف نلحظه عند دراستنا للرازي.

لم يتمسك قاسم بن أصبغ أثناء ترجمته لكتاب هروشيش بطريقة المؤلف الجامدة والجافة في تفسيره وسرده لأسماء المواضع وحدودها على شاكلة بطليموس، بل أخذ في تعريب الأسماء الجغرافية والتاريخية وبعث فيها الحياة من خلال تطعيمها بالأحداث والوقائع، الشيء الذي يقربها إلى نفس القارئ، وقد غرس هذا الاتجاه الجغرافي في نفس الرازي، الذي يعتبر بحق

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مؤسس الفكر الجغرافي العربي في الأندلس، الذي تناقله طلبته من بعده ثم نشروه خارج شبه الجزيرة الإيبيرية.

ومن مؤلفات قاسم بن أصبغ كتابه (المجتنى) واختصره وجعله باسم الحكم المستنصر[8] أما تلميذه الرازي، فهو أحمد بن محمد بن موسى بن بشير بن حماد بن لقيط الرازي الكناني الملقب بأبي بكر، ولد يوم الاثنين 10 ذي الحجة سنة 274هـ وتوفي سنة 344 هـ[9] وقد أخذ عن أبيه ميله إلى التاريخ والاهتمام بالتأليف والترجمة[10].

كانت البيئة الأندلسية، حيث نشأ الرازي، بيئة علمية فريدة، تزخر بالتأليف والإبداع والترجمة، وطلب لا يكل ولا يمل للعلم والمعرفة، مما جعل قرطبة خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي مركزا من مراكز الإشعاع الفكري والحضاري في العالم.

لقد أخذ أحمد الرازي الشيء الكثير من علماء وأدباء ومؤرخي الأندلس الذين ترعرع في أحضانهم، وإلى جانب اهتمامه بالتاريخ الأندلسي وأخبار الملوك والأمراء وغزواتهم ونجاحاتهم وإخفاقا تهم، اهتم أيضا بالجانب الجغرافي، وله في هذا المجال عدة مؤلفات، تناول فيها مختلف فروع الجغرافية الحديثة والمعاصرة.

ويعد مؤلفه في وصف قرطبة وخططها ومنازل الأعيان فيها، مرجعا يعتمد عليه في الشرق والغرب، فالرازي لم يكن جغرافيا فحسب، بل مؤرخا أيضا، فما يسمى "بمسالك الأندلس ومراسيها..." هو المقدمة الجغرافية لتاريخ الرازي الكبير.[11]

كتب كراتشوفسكي يقول: "أول من أدخل نمط الجغرافية الإقليمية إلى الأندلس مؤرخها الكبير أحمد بن محمد الرازي التاريخي، المشهور في أوروبا باسم ELMORO ELRASIS والذي حفظ لنا مصنفه التاريخي، في ترجمة قشتيلية، ترجع إلى عهد متأخر، ونقلت بدورها عن ترجمة برتغالية، وتشير جميع المصادر إلى أنه وضع كتابا كبيرا في طرق الأندلس ومرافئها ومدنها الكبرى والأجناد العربية الستة التي نزلتها بعد الفتح...إن كتاب الرازي مصدر هام جدا لمعرفة الأحوال الجغرافية في الأندلس على عهد عبد الرحمن الثالث، أي عهد ازدهار قرطبة. ويبدو أنه وضع أيضا مصنفا خاصا بقرطبة هو "كتاب في وصف قرطبة" على طراز كتاب ابن طيفور في وصف بغداد، وترد فيه تفصيلات عن شوارعها وقصور الأعيان بها" [12].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد اعتبر الرازي الجغرافية على أنها علم متمم للتاريخ،فكان اهتمامه منصبا على وصف الأندلس واتخذ منهجا جغرافيا مختلفا عما لدى الجغرافيين المشارقة، حيث بدأ بتحديد موقع شبه الجزيرة الأندلسية من الأقاليم، ووضعها في الإقليم الرابع، ووصفها بأنها "مركنة" ذات ثلاث أركان، أي أنها مثلثة الشكل، وهنا يظهر تأثره بهروشيش.

إن تحديد الحيز المكاني، هو ما يطلق عليه الآن بالموقع الجغرافي، بين مكانة الأندلس بالنسبة لما يجاورها.

ثم تناول المناخ حيث تحدث عن الرياح واتجاهاتها ومواقعها وأمطارها، ووصف أحوال الأندلس المناخية والصفات الطبيعية فقال: "بلد الأندلس هو آخر الإقليم الرابع إلى المغرب وهو عند الحكماء بلد كريم البقعة، طيب التربة، خصب الجنان، منبجس بالأنهار الغزار والعيون العذاب، قليل الهوام ذوات السموم، معتدل الهواء والجو والنسيم، ربيعه وخريفه ومشتاه ومصيفه على قدر من الإعتدال، وسطة من الحال، لا يتولد في أحدها فضل يتولد منه فيما يتلوه انتقاص، تتصل فواكهه أكثر الأزمنة وتدوم متلاحقة غير مفقودة، أما الساحل منه ونواحيه فيبادر بباكوره، وأما الثغر وجهاته، والجبال المخصوصة ببرد الهواء فيتأخر بالكثير من ثمره، فمادة الخيرات بالبلد متمادية في كل الأحيان، وفواكهه على الجملة غير معدومة في كل أوان، وللأندلس المدن الحصينة والمعاقل المنيعة والقلاع الحريزة والمصانع الجليلة، ولها البر والبحر، والسهل والوعر وشكلها مثلث، وهي معتمدة على ثلاثة أركان:

الأول هو الموضع الذي فيه صنم قادس المشهور بالأندلس، ومنه مخرج البحر المتوسط الشامي الأخذ بقبلي الأندلس، الركن الثاني هو بشرقي الأندلس بين مدينة نربونة ومدينة برذيل مما بأيدي الفرنجة اليوم بازاء جزيرتي ميورقة ومنورقة بمجاورة من البحرين ــ البحر المحيط والبحر المتوسط، وبينهما البر الذي يعرف بالأبواب، وهو المدخل إلى بلد الأندلس من الأرض الكبيرة على بلد افرنجة، ومسافتة بين البحرين مسيرة يومين، ومدينة نربونة تقابل البحر المحيط، والركن الثالث منها هو ما بين الجوف والغرب من حيز جليقية، حيث الجبل الموفي على البحر"[13]

وقام الرازي بتقسيم الأندلس إلى إقليمين مناخيين مختلفين، على عكس ما ذهب إليه هروشيش من تقسيم سياسي مأخوذ عن الرومان. فحسب الرازي هناك أندلس غربي جرت

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أنهاره نحو المحيط الغربي (يقصد به المحيط الأطلسي)، تتأثر أمطاره بالرياح الغربية (العكسية) وأندلس شرقي تجري أودية أنهاره نحو الشرق، وتغذيه الأمطار الشرقية. وأسهب في وصف أنهار الأندلس واتجاهاتهما وجريانها وغزارة مياهها، وأهميتها الإقتصادية وخاصة بالنسبة للزراعة، التي اشتهر بها العرب، حيث أدخلوا أساليب حديثة في الري، وأصناف جديدة من المزروعات والمحاصيل التي لم تكن تعرفها الأندلس من قبل. لذلك تجاوز الرازي الإغريق والرومان في وصفهم العام لأنهار الأندلس، حيث اهتموا بما يخدم أغراضهم الإستعمارية.

قال الرازي: "والأندلس أندلسان في اختلاف هبوب رياحها ومواقع أمطارها وجريان أنهارها، أندلس غربي، وأندلس شرقي، فالغربي منها ما جرى أوديته إلى البحر المحيط الغربي، ويمطر بالرياح الغربية، ومبتدأ هذا الحوز من ناحية المشرق مع المفازة الخارجة مع الجوف إلى بلد شنتمرية، طالعا إلى حوز أغريطة المجاورة لطليطلة، مائلا إلى الغرب ومجاورا للبحر المتوسط الموازي لقرطاجنة الحلفاء التي من بلد لورقة، والحوز الشرقي المعروف بالأندلس الأقصى، وتجري أوديته إلى الشرق وأمطاره بالريح الشرقية، وهو من حد جبل البشكنس، هابطا مع وادي إبرة إلى بلد شنت مرية، ومن جوف هذا البحر وغربه المحيط، وفي القبلة منه البحر الغربي الذي منه يجري البحر المتوسط الخارج إلى بلد الشام، وهو البحر المسمى ببحر تيران ومعناه الذي يشق دائرة الأرض، ويسمى البحر الكبير"[14]

وقد اهتم الرازي بالجانب السياسي و البشري أثناء دراسته للمدن الأندلسية، حيث وصفها وصفا دقيقا ودرسها دراسة ميدانية، أوضح فيها كل شيء، وهو بهذا يعتبر بحق رائدا في علم جغرافية المدن.

أخذ بتقسيم الأندلس إلى كور ومدن، والمدينة عبارة عن قسم إداري والكورة لها زمام واسع تقع فيها مدن وقرى وحقول واسعة، تشكل أشبه ما يكون بالإقليم، والمدينة في العرف الأندلسي هي القسم الإداري الواقع على الحدود أو المحيط بالعاصمة، وهذا التقسيم معمول به في بعض الدول العربية، حيث يطلق عليها اسم المحافظة، وهي تعني مساحة من الأراضي التي تضم تقسيمات إدارية (وهي الأقضية والنواحي والقرى)، فالمحافظة أكبر جزء في التقسيم الإداري ومركزها يدعى المدينة، كما هو الحال في العراق وسوريا ومصر واليمن،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالرازي الذي عاش قبل أكثر من ألف سنة، أوضح هذا التقسيم وأهتم به ووضعه أساسا لدراسته.

كتب الرازي "يتصل بآخر كورة قرطبة أحواز كورة قبرة، وهي قبلة من قرطبة، أكثر أرضها بيضاء، يحجب تكاثف ثمارها والتفاف أشجارها عيون النائلين، وهي مخصوصة بكثرة الزيتون، ولها مدينة بيانة، وهي عظيمة حصينة، على ربوة طيبة التربة، مغترسة بالشجر والكروم وأنواع الثمرات، ومسافة ما بين قرطبة وقبرة ثلاثون ميلا.

ويتصل بأحواز كورة قبرة أحواز البيرة، وهي بين القبلة والشرق من قرطبة، وأرضها سقيا، غزيرة الأنهار، كثيرة الثمار، ملتفة الأشجار، يحسن فيها شجر الجوز وقصب السكر، وفيها معادن جوهرية من ذهب وفضة ورصاص ونحاس وحديد ومعدن حجر التوتياء، وهي أشرف الكور، نزلها جند دمشق، وبها جبل الثلج، لا ينقطع أبدا على مرور الأيام، ومن دونه نهر غرناطة، ولها من المدن مدينة قسطيلية وهي حاضرة البيرة، وفحصها كغوطة دمشق، وبها مقطع رخام لين أبيض يتصرف تصرف الكذان للينه ورطوبته وتعمل منه الأقداح والأطباق والأكواب والأسطال والحقاق، وكل ما يخرط من الخشب يخرط منه"[15]

ويتناول الرازي الحديث عن بلنسية فيقول: "ويتصل بحوز كورة تدمير حوز كورة بلنسية، وهي شرق من تدمير وشرق من قرطبة، ولخطة بلدها مسافة بعيدة، منافعها لأهلها عظيمة جمعت البر والبحر والزرع والضرع ولها السهل والجبل، وبها مدن عظيمة وحصون قديمة فمن مدائنها، مدينة بلنسية، وهي المعروفة بمدينة التراب، ولها حصن أرغيرة ودانية وهي مدينة على ضفة البحر ولها أقاليم كثيرة متسعة، ومرساها من أعجب المراسي، وجميع أقاليمها وجبالها مغترسة بالكروم وأشجار التين و الزيتون، ومدينة الجزيرة ومبتناها على نهر شقر"[16]

فالحوز عند الرازي هو زمام الكورة كله، أي ما يتبعها من الأراضي والبلاد، وخطة البلد هي المسافة التي تغطيها المدينة نفسها، وما يتبع حكومتها من الأراضي والقرى. وسيهب ويستطرد في جغرافية المدن ويسترسل في تفصيل تاريخها من حيث النشأة وأسلوب التخطيط وطريقة البناء، وهذا ما أخذه العذري عنه وأضافه إلى جغرافيته.

لقد كانت منهجية الرازي في الدراسات الجغرافية ذات فائدة كبيرة للناس في ذلك الزمان والأزمنة التي تلته، فسكان بلنسية أخذوا ما يحتاجون إليه من معلومات عن كورتهم،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حيث حددوا الموقع، المدن والحصون، وعرفوا الميزات الخاصة لموقعهم على البحر والاتصال بالسهول والأنهار، وأهمية الحصون الدفاعية، والأمنية والقيمة الإستراتيجية لبعض المدن كقرطبة مثلا.

ويعتبر الرازي السباق إلى وضع مفهوم الجغرافية البشرية على أساس سليم، وبذلك مهد الدرب للذين جاءوا من بعده أمثال أحمد بن عمر بن أنس العذري، حيث توسع فيما اختصر الرازي، فقد أطال في الجغرافية البشرية، و في التقسيم الإداري بالذات، فلم يكتف بالوصف العام، بل فصل تفصيلا علميا حافلا بالمعلومات، ووصف المدن نفسها واحدة واحدة، لم يترك لها شاردة أو واردة إلا ذكرها، كذلك تناول نشأة اسبانيا وتسمياتها المتعددة.

وإذا صح أن توصف جغرافية الرازي على أنها من طراز البلدان فقط، فإن جغرافية العذري تصنف ضمن البلدان والمسالك والممالك.[17]

تجدر الإشارة إلى أن الرازي لم يلتزم بالضوابط التي وضعها بطليموس على علم الجغرافية ونقل هذا العلم من جداول فلكية حشدت فيها البلدان على صورة جافة، إلى دراسة تشمل الأرض وعلاقة الإنسان بها، ثم يأتي العذري فيضيف حشدا من المعلومات الجغرافية السياسية والإقتصادية للبلاد.

لذلك يعد الرازي المعلم الأول للذين أتوا من بعده وأكملوا مشواره العلمي الجغرافي، حيث ركز معظم اهتمامه على الإنسان ودوره على كوكب الأرض، وقد أخذ بهذا المنهج الجغرافيون الأندلسيون، الذين خلفوا الرازي واتخذوه قدوة لهم أمثال ابن الخطيب، إذ بالرغم من أنهما عاشا في فترات زمنية متباعدة تتجاوز الأربعة قرون، نجد التأثير واضحا في التقليد، حيث ظلت عادة الأندلسيين في التقديم للتاريخ بالجغرافية.

وقد ظهر ذلك جليا من خلال مقدمة "الإحاطة في أخبار غرناطة" حيث يقدم ابن الخطيب عرضا ووصفا مطولا للمنطقة التي شملها نفوذ مملكة غرناطة.

كان الرازي شديد التعلق بوطنه ومسقط رأسه وجنة أحلامه، فكتب بصدق وحب وأمانة، وقد تأثر ابن الخطيب بالرازي في هذا الأمر، فنجده في وصفه للأقاليم في مملكة غرناطة يطلق عليها تسمية (الوطن الشريف)، وهذا يدل دلالة واضحة على اعتزازه بوطنه الأندلس.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذه الخاصية نجدها لدى كتاب أندلسيين آخرين كالمقري الذي يبين هيئة الأندلس و أبعادها في نفح الطيب، كذلك سلك ابن سعيد المنهج نفسه[18]

ثم إن أبا عبيد البكري المتوفى سنة 487هـ من الجغرافيين الأندلسين البارزين الذين انتهجوا منهج الرازي وساروا على دربه واستفادوا من كتاباته، ويعتبر "معجم ما استعجم" و"المسالك والممالك" ثروة علمية جغرافية وأدبية دون فيهما كثيرا من الحقائق التي كانت معروفة في عصره، أغنت المكتبة العربية.[19]

إن القراءة المتأنية لما خطه البكري في هذا الباب تقودنا إلى الإستنتاج بأنه كان متأثرا بشكل كبير بالرازي وبمحمد بن يوسف الوراق المتوفي 362هـ، ومما يمتاز به البكري دقتة في رسم الأعلام وحرصه على التثبت منها، وهذا ما لوحظ عنه في كتاباته عن شبه جزيرة إيبريا، وهي في فاتحة الجزء الخاص بالأندلس، وخاصة في الأسماء المتعلقة بتسمية الأندلس والتي أثبتها البكري في معجمه، وهو يتفق مع الرازي في هذا المجال، لأن النصوص والأسماء سبق للرازي ذكرها حينما كان يكتب عن وطنه الأندلس، وهذه أيضا دلالة واضحة تبين مدى تأثر البكري بمعلمه الرازي على الرغم من بعد الفترة الزمنية بينهما، حيث تقرب من القرن والنصف، بالإضافة إلى البكري لا يفوتنا أن نذكر عبد الله بن ايراهيم الحجاري الذي تتلخص طريقته في الكتابة في الإتيان بشيء من وصف الأندلس، معتمدا في ذلك على الرازي، حيث ذكر أن طول الأندلس من الحاجز إلى المحيط ألف ميل، وأن عرضها في وسطها عند طليطلة (16 يوما) وكان يأخذ عن الرازي حديثه عن أركان الجزيرة.

ويجب أن لا يغيب عن البال أن الأوروبيين اطلعوا على أراء الرازي وكتاباته الجغرافية، وتأثروا بأفكاره واتبعوا منهجه.كتب بيتر هابلين في "الكون الصغير" يقول: "التاريخ بغير الجغرافية كالجثة الميتة"، وكان ذلك في عام 1621م. وقد عبر ميشليه في كتابه عن تاريخ فرنسا عام 1833م، أن التاريخ تطور جغرافي.

هذا وقد حذا المؤرخون الفرنسيون حذو ميشليه، إذ جعلوا لدراساتهم التاريخية مقدمات جغرافية، ومن هؤلاء العالم الفرنسي فيدال دي لابلاش VIDAL DE LA BLACHE الذي حمل لواء المعارضة والتصدي لكل أولئك الذي انحدروا إلى حضيض الحتم الجغرافي، وسخروا من تجاهل قدرات الإنسان أو امتهانها. لقد سبق الرازي فيدال دي لابلاش ومن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عاصروه في هذا المضمار، فهو لم يكرس كل جهوده الجغرافية على الجانب الطبيعي، بل أعطى الكثير من اهتماماته الجغرافية إلى الجانب البشري المتمثل في الزراعة وتخطيط المدن، وأنه لم يغفل دور الإنسان في الطبيعة، وقد وفق في التقريب بين الحتمية الجغرافية والإنسان.

هناك شواهد كثيرة وكثيرة جدا تثبت العلاقة الوثيقة بين الجغرافية والتاريخ ويرجع الفضل في الكشف عنها لأبي الجغرافية والتاريخ أحمد بن محمد بن موسى الرازي، فقد أوضح ذلك قبل ألف سنة، أما الكتاب أمثال جورج آدم سميث (الجغرافية التاريخية للأرض المقدسة) وسمبل (التاريخ الأمريكي وملابساته الجغرافية)، وبرجهام (المؤثرات الجغرافية في التاريخ الأمريكي) وغيرهم، فقد نهلوا من بحر علم الرازي، وساروا على دربه، وأثبتوا صحة منهجه في الفكر الجغرافي الأندلسي.[20]

وعلى ضوء ما ذكرناه أعلاه، يمكن لنا أن نؤكد بأن معظم الجغرافيين المعاصرين قد اطلعوا بشكل أو بآخر على آراء الرازي وبحوثه الجغرافية وصقلوها بأسلوب حديث ومعاصر، ومن ثم فإن الرازي يعتبر واضع أسس الفكر الجغرافي و ممهد السبيل للجغرافيين الأندلسيين وغيرهم الذين سلكوا طريقه، وقد خلف لنا ثروة علمية جغرافية وتاريخية أغنى بها التراث العربي الإسلامي والمكتبة العربية.

الهوامش:

1- كراتشوفسكي. تاريخ الأدب الجغرافي. القسم الأول، موسكو 1957، ص22-23

2- لطفي عبد البديع. نص أندلسي جديد. مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة 1955،مج1،ج،ص281

*- بطليموس. فلكي وجغرافي يوناني (90-168م) نشأ في الإسكندرية.له "المجسطي "و "جغرافية بطليموس" المنجد في اللغة والأعلام. ط 29، بيروت 1986، ص.30

3 - المسعودي. مروج الذهب ومعادن الجوهر. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. ج1، بيروت 1988،ص87-.88

4- لطفي عبد البديع. المصدر السابق، ص82.

5- ابن حزم. رسائل ابن حزم الأندلسي. تحقيق د.احسان عباس. ج2ط1، بيروت، 1981 ص 174-175

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

6 – مؤنس حسين. تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس.المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.ط2.1986 ص30–32.
7– المقري التلمساني. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. بيروت، دار صادر 1997، المجلد الثاني – ص47–48.
8– المقري. المصدر السابق. ص 48.
9– الزبيدي. طبقات النحويين واللغويين. تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ص.302
10– مؤنس حسين، مرجع سابق ص 58–59.
11– كراتشوفسكي. تاريخ الأدب الجغرافي العربي، القسم الأول، ص.169
12– المقري التلمساني. المصدر السابق، ص.128
13– المقري. المصدر السابق، ص.131
14– لطفي عبد البديع. المصدر السابق، ص182–183.
15– المصدر نفسه.ص.285
16– مؤنس حسين.المرجع السابق، ص94
17–ابن سعيد المغربي. كتاب الجغرافية. تحقيق اسماعيل العربي. ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر. 1982.
18– أبو عبيد البكري. المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك. الجزائر 1857.
19– الشامي، صلاح الدين. الفكر الجغرافي سيره ومسيره. الاسكندرية 1989، ص.328
20–غلاب سيد وآخرون. الجغرافية في القرن العشرين.القاهرة.1975م.ج2.ص441.

الحرشـــــاوي الندرومـــــي
حيـــــاته وآثـــــاره

أ/ حسني بليل

المقدمـــــة

إن أبا المكارم أحمد بن محمد الحرشاوي الندرومي المتوفى في السابع من رجب عام 1313هـ الموافق لـ20 ديسمبر سنة 1896م من الشخصيات العلمية البارزة بالجزائر خلال النصف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com